دور الفنان التشكيلي في حماية الآثار والمباني التاريخية

د. نجوى علي عبود
د. نزهات مفتاح البوعيشي
كلية الفنون والإعلام . طرابلس–ليبيا

ملخص البحث

معالم ليبيا الأثرية هي التقاء لعدة حضارات وثقافات، حيث تمتلك ليبيا مخزونا وتراثا فريدا من الآثار التي خلفتها تلك الحضارات والثقافات المتعاقبة عبر التاريخ وحتى يومنا هذا، إلا أن هذا التراث الحضاري المميز مهدد وبشدة في ظل الفوضى السياسية والأمنية التي تعيشها ليبيا مند2011، وتتمحور هذه الدراسة في إبراز وإظهار ما تحتويه معالم ليبيا الأثرية من جوانب فنية وجمالية لهذه الحضارات التي مرت بها ليبيا عبر العصور. وللرفع من مستوى الوعي والإدراك لأهمية الممتلكات الثقافية بالرغم من التقدم الحاصل في وسائل حماية الآثار علي الصعيد الوطني والدولي إلا أنها تبقى مستهدفة في النزاعات المسلحة لما تحمله من رموز حضارية ووطنية وقيمة مادية عالية .

وهنا يكمن الدور التربوي الفني للفنان التشكيلي بخصوص نشر الوعي الثقافي من خلال عزمه وتصميمه في إرساء دعائم الفن للحماية الحقيقية للآثار في مختلف الظروف . وتهدف الدراسة إلي تجسيد أعمال فنية (جداريات خزفية) تشمل في محتواها علي أهم الآثار المنتشرة في جميع المناطق الليبية مثل (قصر نالوت– قلعة سبها – أثار شحات) (نافورة الغزالة و الحسناء، قوس ماركوس، السرايا الحمراء)(أثار قرزة في بني وليد) . حيث أن الفنان التشكيلي لا يقتصر دوره علي الناحية الجمالية فقط بل يكمن دورة الفعال في إيجاد وسيلة أو طريقة لمعالجة المشاكل التي تتعرض لها البلاد لحماية هذه الممتلكات الثمينة لان حمايتها ليس المقصود منها حماية الآثار فحسب وإنما حماية ذاكرة الشعوب وهويتهم.

Abstract

Libya's archaeological landmarks are the confluence of several civilizations and cultures, as Libya possesses a unique stock and heritage of the effects that successive civilizations and cultures have left throughout history and to this day. However, this distinctive cultural heritage is seriously threatened in light of the political and security chaos that Libya is living in since 2011, and this study is centered on In highlighting and showing the contents of Libya's archaeological features in terms of technical and aesthetic aspects of these civilizations that Libya has gone through through the ages. To raise the level of awareness and awareness of the importance of cultural property despite the progress made in the means of protecting antiquities at the national and international levels, but they remain targeted in armed conflicts for what they carry Civilization and national symbols and high material value.

Here lies the artistic educational role of the artist in spreading cultural awareness through his determination and determination in laying the foundations of art for the true protection of antiquities in various circumstances. The study aims to embody artworks (ceramic murals) that include in their content the most important monuments scattered in all Libyan regions such as (Nalut Palace - Sebha Castle - Archeology of Shehat) (Fountain of Ghazala and Belle, Marcus Arch, Red Saraya) (The effects of Qarza in Bani Walid). As the artist is not only aesthetic in his role, but the effective course lies in finding a way or a way to address the problems that the country is exposed to to protect these valuable properties because protecting them is not only intended to protect antiquities, but also the memory and identity of peoples

مقدمة

الفنون هي إبراز لثقافة مجتمع ما، فالعلاقة التبادلية بين الفنون، كقيمة ثقافية تطرح على العامة ، وبين عموم المجتمع، كتجسيد حي متفاعل مع هذه القيم، يجب أن ترتقي دوما الى أعلى و لا تنحرف أبدا و لو بقدر ضئيل الى أسفل، ليس فقط على مستوى إعلاء قيمة الاحساس بالجمال و لكن أيضا على المستويات الأخرى كإعلاء قيم العمل الجاد و قيمة العلم و قيمة الدفاع عن الوطن و ممتلكاته الحضارية و التاريخية و هذه القيم التي تمثل عصب نجاح و تطور أي مجتمع متحضر معاصر.

والفنان التشكيلي يوظف فنه لنقل رسالة إنسانية أو للتعريف عن قضية تهم المجتمع ، كحماية الأثار و المباني التاريخية، أثناء و بعد النزاعات المسلحة ، و يبرزها من خلال معارض فنية تشكيلية، إن كان من خلال أعمال فنية كجداريات أو منحوتات كدور فعال و مهم لنشر الثقافة و الوعي بين أفراد المجتمع لدعم إقرار و تطبيق قانون حماية الأثار من النزاعات المسلحة.

بالرغم أن الفنان التشكيلي يجد تحديا أكثر صعوبة و أشد تعقيدا لإثبات فنه، نتيجة لحالة التوتر و النزاعات المسلحة التي استهدفت الأثار و قد لا تكتفي بالاستحواذ عليها بل تدميرها نتيجة الفهم الخاطئ للعلاقة بين الحضارات، إضافة الى أن التخلف الثقافي قد يخلق من الانسان عدوا لها و خاصة في حالات ضعف الدولة و عدم قدرتها على حمايتها، فتتعرض للسرقة و النهب و لعل الطبيعة التي أسهمت في ابتداع قسم من هذه الأثار والمباني التاريخية تسهم هي الأخرى في هدم بعضها نتيجة الرطوبة و عوامل التعرية و غيرها، لذا فإن الفنان يصبح أكثر قوة و أعظم تأثيرا و أقوى دفعا للدفاع عن الرسالة السامية التي تهم الوطن وقيادة المجتمع الى التركي الثقافي و الترقي الحضاري.

وعلى الرغم من سرعة هذا العمل التشكيلي (الجداريات الخزفية) و التي ولدت من رحم الأثار و المباني التاريخية، ليس بالضرورة إخضاعها للتقييم الفني، بقدر ضرورة النظر الى الظروف التي نشأت فيها، و كانت دافعة لإبداعها، علاوة على الرمزية التي سعت الى تجسيدها.

وجاءت هذه الأعمال الفنية بتعبير صادق للمحافظة على الأثار و المباني التاريخية و هو ما يؤشر لحراك فني قوي خلال المستقبل القريب.

مشكلة البحث:

الفنان التشكيلي عادة ما يكون صاحب قضية و رسالة يكرس كل طاقاته الفنية من أجل تحقيق أهدافه في المساهمة للتطوير الاجتماعي و الحضارة ،و هناك الكثير من التساؤلات حول اهتمام الفنان التشكيلي بقضية فنية أو فكرية أو سياسية و دوره من خلالها و دور تعايشه مع قضايا المجتمع المحلي أو الدولي ،و من هنا نتسأل عن دور الفنان التشكيلي في إبراز مشكلة حماية الأثار و المباني التاريخية أثناء و بعد النزاعات المسلحة؟ و هل ساهم في علاجها؟

هل اقتصر دور الفنان التشكيلي على إبراز جماليات الأثار و المباني التاريخية أم حمل رسالة هادفة مع إيجاد الوسيلة لإيصالها؟

أهمية البحث:

1 – تكمن أهمية البحث في التعريف بجماليات الأثار و المباني التاريخية، و إظهار الحضارات القديمة التي مرت بها ليبيا عبر العصور.

2– استغلال المواد الطبيعية المحلية بدل المواد المستوردة لتجديد أعمال فنية.

3– إظهار النقوش و الرسوم الفنية للأثار في أعمال فنية خوفا من اندثارها و تلاشي معالمها مع مرور الزمن أو من الاهمال و التدمير المتعمد.

4 – التأكيد على الدور الفني بخصوص نشر الوعي الثقافي الخاص بأهمية المحافظة على الأثار و المباني التاريخية.

أهداف البحث:

1–إلقاء الضوء على الكنوز الفنية سواء من الناحية الفنية و الجمالية أو الناحية التاريخية.

2–استغلال معالم ليبيا التاريخية في تنفيذ أعمال فنية لإبراز التدمير المقصود و الممنهج الذي يهدف إلى إلغاء كل ما هو أثري على الأرض.

3–اهتمام المؤسسات الفنية بالفنانين و إقامة القاعات و المهرجانات للارتقاء بالذوق العام.

4–الرفع من المستوى المنخفض للفهم الواعي و الحقيقي لأهمية الأثار و المباني التاريخية للمحافظة عليها من النزاعات المسلحة.

منهجية البحث:

.إستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي

نبذة تاريخية

يعتبر تاريخ ليبيا حافلا بالعديد من الأمم و الحضارات التي عاشت على أرضها، و سيتم وصف الحقب التاريخية لأهم الأثار المنتشرة في جميع المناطق الليبية، و التي تم تجسيدها في الجداريات الخزفية و من أهمها:

قلعة سبها(1)

تعتبر قلعة سبها حصن منيع يقع جنوب شرق المدينة و يتحكم موقعها في الطريق البري الى أوباري و مرزق، وبنيت على بقايا حصن من حصون أولاد إمحمد الفاسي التي حكمت فزان و إنهارت على يد الأتراك، ثم إتخذ الأتراك منها حامية لهم.

و للقلعة تاريخ حافل بالجهاد و ضد الإستعمار، حيث وقعت فيها معركة ضد الغزو الإيطالي عام 1913م ، و بعد أن أعيد صيانتها في بداية الثلاثينيات و أصبحت حصنا إيطاليا، إلى أن جاء حكم الإدارة الفرنسية لولاية فزان التي أصبحت حينها تحت الوصاية الفرنسية ثم تحولت إلى حامية فرنسية.

واستخدمت حامية عسكرية منذ الأتراك إلى عهد المملكة الليبية و حتى الآن.

(قصر نالوت / قصر لالوت) (2)

يقع في المدينة القديمة بنالوت، وهو من أقدم القصور الأمازيغية و يقع على حافة جبل نفوسة و على ارتفاع 640 متر عن مستوى سطح البحر، كما أنه يطل أو يراقب الطريق الرئيسية التي تربط بين طرابلس وغدامس، وتم إنشاؤه قبل القرن السابع من قبل الميلاد. يرتفع قصر نالوت ليصل إلى ستة طوابق شيدت بداخلها أعداد كبيرة من المخازن التي استخدمت لتخزين الحبوب، الغلال، زيت الزيتون و البضائع لتبلغ نحو 400 مخزن، حيث أن التخزين كان السبب الرئيسي لإنشاء القصر، ولا يزيد عرض كل مخزن عن المترين و نصف و بارتفاع ما بين 1 إلى 1.5 متر، و يتميز القصر بعدم وجود مساحة كبيرة، أما بنائه فقد تم من الحجارة الصغيرة ، الجبس و الخشب، وما يلفت النظر غياب الدرج للوصول إلى الطوابق العليا من القصر، فقد استخدم قطع صغيرة من جذوع الأشجار ولازالت هذه القطع هي الوسيلة للصعود إلى الطوابق العليا.

تعرض القصر لقصف مدفعي من قبل الجنود الأتراك بعد سقوط الأسرة القرمانلية عام 1835 م حيث ضعفت إنشأته واضطر سكانه لهجره، ليتم ترميمه من قبل السكان المحليين في القرن التاسع عشر.

(مدينة شحات) قورينا (3)

أسست في حدود سنة 631 ق. م عن طريق بعض المغامرين و الإغريق و شهدت أوج ازدهارها في القرن الرابع قبل الميلاد.، وتعتبر من أكبر المدن الأثرية في الجبل الأخضر، و من أهم أثارها الحمامات اليونانية و معبد (زيوس) الفخم و معبد أبولو وغيره من المعابد، و مجلس الشورى ، و قلعة الأكرايوليس، أما في العهد الروماني أدخل عليها بعض التحويرات و شيد الكثير من المباني التي لا تزال أثارها قائمة و منها الحمامات الرومانية و المسرح و رواق هرقل و الكثير من المعابد و النصب و السور الخارجي الذي بني في القرنين الأول و الثاني للميلاد، كما يوجد بقورينا العديد من الكنائس التي تعود للعهد البيزنطي و بعض المقابر المنحوتة في الصخر و أغلبها على الطراز اليوناني.

(ميدان الغزالة) نافورة الغزالة والحسناء (4)

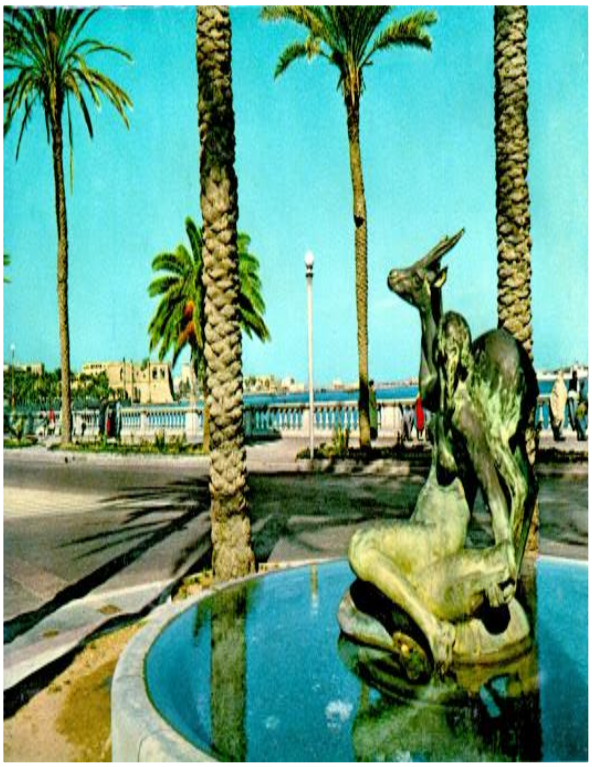

يقع ميدان الغزالة في العاصمة الليبية طرابلس، هو ميدان صغير به نافورة بها تمثالان هما تمثال (الغزالة و الحسناء) و يمثلان مشهدا فنيا لامرأة تمسك بجرة و تعانق الغزالة.

صمم النافورة فنان إيطالي يدعى أنجيولو فانيتي مطلع ثلاثينيات القرن العشرين، و الميدان يعد من أهم الميادين و أقدمها في المدينة كونه مفترق للطرق في وسطها و بالقرب منه يوجد فندق الودان التاريخي و الفندق الكبير و ميدانه، و تتفرع منه شوارع رئيسة.

و وجد مع صباح يوم 4 نوفمبر 2014 أن النافورة قد اقتلعت من مكانها من قبل جماعة مجهولة، على الأرجح بسبب الملامح (العارية) للحسناء والتي يرفضها البعض لأسباب دينية، و قد سبقت عدة حوادث و تهديدات لهذا الحادث مثل تعرضها لقذيفة محدثة ثقب في مجسم الحسناء.

قوس ماركوس أوريليوس (5)

يقع في منطقة باب البحر و بالقرب من جامع قرجي بالمدينة القديمة طرابلس، و يعتبر قوس ماركوس هو المتبقي من مدينة طرابلس الرومانية.

و قد تردد إسم ماركوس اوريليوس في كتب التاريخ كواحد من الأباطرة الرومانيين الذين تقلدوا شؤون الحكم فيما بين عام (196 _180) و ذلك بالإشتراك مع لوكيوس أوريليوس فيروس عبر المرحلة التي تولى فيها شؤون الحكم عدد من الأباطرة الذين تميزوا بالكفاءات و ليس على مبدأ الوراثة في الحكم.

و يعتبر قوس ماركوس أجمل من أي أثار مماثلة له في إيطاليا لأنه خرج في تصميمه عن المألوف إذا اشتمل على أربع فتحات كبيرة خلاف ما هو شائع في أقواس النصر التي شيدت في مداخل المدن الرومانية تشتمل على فتحة أو ثلاث فتحات، كما يتميز قوس ماركوس برسوم و زخارف تمثل صورة (لأبوللو) إله موسيقى و (مينيرفا) حامية أثينا.

و منذ إبريل من عام 1914 بدأ قوس ماركوس في الظهور بعد ترميمه و إستعادة أجزاءه، التي تساقطت ، وهكذا فقد أصبح من الممكن مشاهدته بالكيفية التي هو عليها الأن

قلعة السرايا الحمراء (6)

تقع السرايا الحمراء في مدينة طرابلس، و قد أطلق عليها هذا الإسم بسبب لون لحجارة المطلية باللون الأحمر في بعض الأجزاء حيث تبلغ مساحتها 1300 متر مربع، و إرتفاعها 21 متر، و قد كانت بالسابق معبدا رومانيا و إتخذها البيزنطيون حصنا منيعا لهم إستخدموه في الدفاع عن المنطقة، و قد أبدت جميع الحضارات إهتماما كبيرا بالقلعة ، و قامت بإبتكار الإضافات عليها و من الجدير بالذكر بأن كل من الأسبان و الأتراك و الإيطاليين و البريطانيين عاشوا فيها.

مدينة قرزة الأثرية (7)

تقع مدينة قرزة على بعد مائة و ثلاثين كيلو متر جنوب مدينة بني وليد و قد بنيت على الجانب الشمالي لوادي غرزة غرب نقطة إلتقائه بوادي زمزم بحوالي 20 كم و تكاد تكون بمنتصف المسافة بين حصني بو نجيم و القريات الغربية أما مبانيها فهي موزعة على مجموعتين على ضفتي الوادي، حيث توجد مجموعة مقابر قرزة الشمالية التي تتكون من سبعة أضرحة جميلة المباني، أما المقابر الجنوبية فتقع جنوب الوادي على مسافة 3 كم من القرية في إتجاه الجنوب الغربي و تتكون من سبعة أضرحة مختلفة الشكل عليها لوحات شواهد تحمل أسماء مشيديها و تؤكد هذه الأسماء على أنها أسماء ليبية أصلية.

تتكون المدينة الأثرية من حوالي 40 مبنى مختلفة الاحجام بعضها يتكون من طابقين و جلها من طابق واحد و كثير من هذه المباني لها أبراج و مدخل معمدة تمتد إلى فناء مكشوف تحيط به الحجرات و المخازن و غرف الإعاشة، و بالقرب من هذه المباني و حولها توجد بقايا المساكن الصغيرة و الأكواخ و توجد أيضا مجموعة من الصهاريج الكبيرة، و قد بنيت مدينة قرزة إجمالا بالحجر الجيري المحلي.

عند النظر إلى المنحوتات الموجودة في مقابر قرزة تستنتج بأن الحياة كانت تعتمد على زراعة الحبوب و أشجار الزيتون و الكروم و النخيل و فواكه التين و الرمان و الكمثرى، و كذلك يعتمدون على الرعي و تربية الطيور الداجنة و أيضا على الصيد البري و كذلك التجارة، و تؤكد الكثير من البحوث و الدراسات أن مدينة قرزة كانت مسكونة من القرن الثاني الميلادي أو قبله، إلا أن إستغلالها كمستوطنة زراعية عسكرية كان في النصف الأخير من القرن الثالث الميلادي، أما إزدهارها فكان في بداية القرن الرابع حيث تعود أهم المباني و المقابر بها إلى تلك الفترة.

سكان مدينة قرزة ليبيون و تؤكد ذلك أسماؤهم المنحوتة على المقابر مثل نمير أو فضيل و ناصيف و ميتاليك، و قد كانوا من الأثرياء المرتبطين بالدولة الرومانية... أو ربما هم العسكريين الليبيين الذين لعبوا دورا كبيرا في إنتصارات روما في كثير من المعارك الحربية، و إذا نظرنا للجانب المعماري في قرزة فستجد بأنه خليط من الفن الليبي و الفرعوني و اليوناني و الروماني و هو أمر يجعلنا نعتقد أن سكانها من جنود الفيالق الرومانية الليبيين.

و تؤكد الدراسات على أن المعبد الوحيد الموجود بها قد تم تحويله إلى مسجد كما يتضح من معالمه المتبقية و الرسومات و الأشكال الهندسية المرسومة بالجبس.

هذه قرزة و هذا بعض من تاريخها الذي يشهد أنها كانت ملتقى الحضارات القديمة الموغلة في القدم و التي تقف اليوم شامخة شاهدة على عظمة التاريخ الليبي.

تصميم العمل الفني:

تتجسد فكرة العمل الفني بالنحت الخزفي (ثلاث جداريات) لإبراز أهمية الأثار و الحفاظ عليها و دورها الحضاري و التاريخي عبر الحقب المختلفة، كما إنها تتوافق مع رؤية مركز القانون الدولي الإنساني و تبنيها لمشروع متكامل للعناية بالإرث الحضاري وحماية الأثار و المباني التاريخية من النزاعات المسلحة.
شملت اللوحات التشكيلية فكرة تحاكي بها المواقع الأثرية بشكل أو بأخر، مستلهمة الأثار و المباني التاريخية في قصة قديمة و لكن بصورة جديدة، فالأثار و الحداثة يجمعهما عمل فني مشترك.

و تهدف فكرة التصميم إلى دقة الإهتمام بالأثار في ليبيا بنظرة فنية مستوحاة من المقارنة و التمازج بين المنحوتات الاثرية القديمة و المنحوتات المعاصرة.

فتناولت الجداريات الخزفية موضوع الأثار بشكل فني معاصر بتقنية التشكيل و النحت بهدف إبراز ماتخزنه من ملامح الحضارات التي امتد وجودها ألاف السنين بإنتاج فني معاصر يحمل ذات الهوية المرتبطة بالمكان للتعبير عن معالم ليبيا في صورة مرحلية إختزلت للتحول من أثار إلى الإبتكار و التعبير الذاتي أي من صورة أثار و مباني تاريخية قديمة إلى الرمز و التراث و الهوية و الوطن، فنراها جليا إنها ليس مجرد مثال ملهم بل تحولت إلى عنصر فاعل في اللوحة له حسه و أبعاده و قيمته الفنية.

فكرة التصميم تناولت إقتباس للأثار و المباني التاريخية بمناطق مختلفة من ليبيا حيث إخترنا قلعة سبها و قصر نالوت مع مدينة شحات الأثرية و دمجهم في تصميم مشترك لتكوين الجدارية الخزفية الأولى.

ثم إخترنا نافورة الغزالة و الحسناء لتكون المحور الرئيسي للجدارية الثانية مع دمجها بقوس ماركوس وتفاصيل السرايا الحمراء.

أما الجدارية الثالثة كانت مصممة لأثار مدينة قرزة التاريخية و اشتملت تفاصيل دقيقة مع تجسيد لملامح الحضارة القديمة بها.

الجانب العملي:

يمر الجانب العملي بعدة مراحل بداية من تجسيد الرسومات المقتبسة من الأثار و المدن التاريخية و طباعتها إلى أن يتم حرق الجداريات كمرحلة أخيرة للعمل و ذلك على النحو التالي_:

1 – تجهيز مواد الخام

أستخدم في تجهيز عجينة التشكيل مواد طبيعية و مصدرها غريان مع مسحوق كسر الطين المحروق و الرمل (السيليكا) .

2 – خلط المواد

أستخدم الطين بعد تجفيفه و طحنه على هيئة مسحوق لغرض قياس وزن خالي من الرطوبة (الماء).

60%طين غريان (مسحوق جاف).

25%مسحوق كسر الفخار (طين محروق).

10%رمل (سيليكا).

و يفضل إستخدام رمل نالوت نظرا لإرتفاع نسبة السيليكا فيه و تشابه حجم حبيباته. و بعد طحن المكونات الأساسية يتم غربلتها لإستبعاد الحبيبات الخشنة و ذلك بتمريرها عبر غربال يدوي.

و تخلط النسب السابقة بإضافة الماء حتى يصبح الخليط قابل للتشكيل يدويا و تعجن الخلطة السابقة ثم تفرد على لوح مسطح ذو إطار خشبي لتكوين جدارية خزفية بمقياس 123سم ×85 سم ذو سمك 2 سم.

3 – النقش و الحفر على الجداريات

أستعمل في هذه المرحلة نوعين من أنواع إظهار النقوش و الرسوم و ذلك بالرسم اليدوي و إستعمال أدوات الحفر.

_ يتم الرسم أولا على الجدارية بوضع الورقة المراد رسمها لإبرازها على سطح العمل.

_ يتم تحديد خطوط عن طريق أداه مذببة، مع مراعاة أن تكون الجدارية تمتاز بمثانة خضراء تتناسب بالضغط عليها أي لا تكون لينة.

_ تبدأ عملية الحفر البارز و الغائر لتوضيح معالم الرسم كما هو مصمم من الرسوم للأثار و المدن التاريخية.

4 – مرحلة التجفيف

يتم تجفيف الأعمال تجفيفا طبيعيا من رطوبة الماء مع الأخذ في الإعتبار مدة الجفاف (جفاف بطيء) لكي يتم التجفيف الكامل و المتناسق من حيث إستواء السطح و عدم إلتواء الحواف و تفادي التشقق.

5 – مرحلة الحرق

يتم وضع الأعمال في الفرن لمرحلة الحرق بعد قص الجداريات نتيجة لكبر حجمها مقارنة بمقاسات الفرن، و يراعى عند الحرق أن تتراوح درجات الحرارة ما بين (900_950) درجة مئوية.

التحليل التشكيلي

الجداريات الخزفية تسعى إلى المحاكاة، و تصور محدث لرؤية تشكيلية تضع في الإعتبار العلاقات الكامنة في عمق الأثار، فهي أولا و قبل كل شيء علاقات تشكيلية متباينة للمباني التاريخية، أحاول أن أحللها لكشف مختلف العلاقات و الروابط التي تجمعها، مع عدم طلاء الجداريات لكي تبدو أقرب للأثار في الواقع. أما الإضافات التشكيلية تتمثل في خلق ترابط بين الكتلة و الخطوط لأن العمل مسطح و ليس مجسم ثلاثي الأبعاد، لهذا تصبح التركيبة عمودية يحركها نسيج من الخطوط و المساحات التي تتداخل و تتمازج لتعطي مساحات متباينة يتشكل بها التصميم المتمثل في الأثار، و إن التغييرات المحدثة تدخل خاصية قائمة على التنويع والتكرار في الأشكال المنحنية مثل النوافذ و الأبواب و الأقواس للمباني التاريخية، أما المساحات التي تتجاور و تتراكم و من التراكم يتولد التكرار ومن التكرار تتولد الحركة و من الحركة يتولد الإسترسال و التواصل كما في الأقواس بمدينة قرزة الأثرية و الطوب لقوس ماركوس والتأثير في الصحراء لقلعة سبها و أقواس مدينة شحات الأثرية.

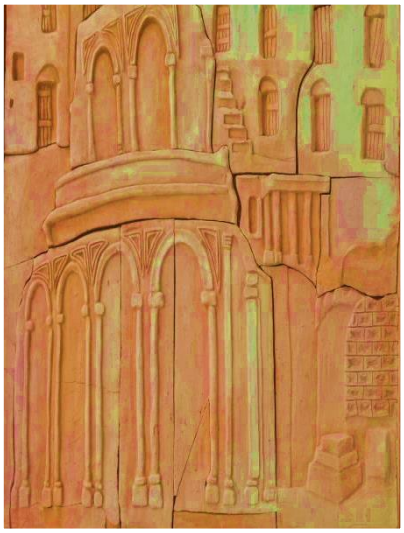

فكأن التكرار في النوافذ و الأبواب و الأقواس للأثار هي بحث عن الضجيج داخل السبات، و بحث عن الحركة لتي تطغى على التجسيم فيأتي التكرار ليدعم الحركة و يجعل العمل أكثر ديناميكية.

أما الحوار الدائم بين المحاكاة و الإضافة، يبقى لتجسيد حاضرا في التجريد و هو بدوره يتجلى في العلاقة التلازمية لان التجريد للأثار و المباني التاريخية يكون ضروريا للوصول للهدف، و لقد ترجمت الحركة من خلال المساحات البارزة و الغائرة لجميع عناصر الجداريات و لكن الملفت في المجسمات هو أن السكون هو المهيمن، فالأثار تبدو ساكنة نظرا لوضعها العمودي فكأنها ثابتة بالرغم أن الحركة متواجدة بصريا، إضافة إلى ذلك فإن أوضاع الجسد للحسناء و الغزالة تتشكل بصورة مختلفة غير أنها كلها تنشد الحركة، حركة تجعلها تتحرر ككل فحتى الإحاطة الخارجية لقوس ماركوس هي حركة متواصلة، لكن دائما في علاقة مترابطة، و هكذا تنشأ جملة من العلاقات التي ذكرتها كالتراكم و التضاد بين المساحات.

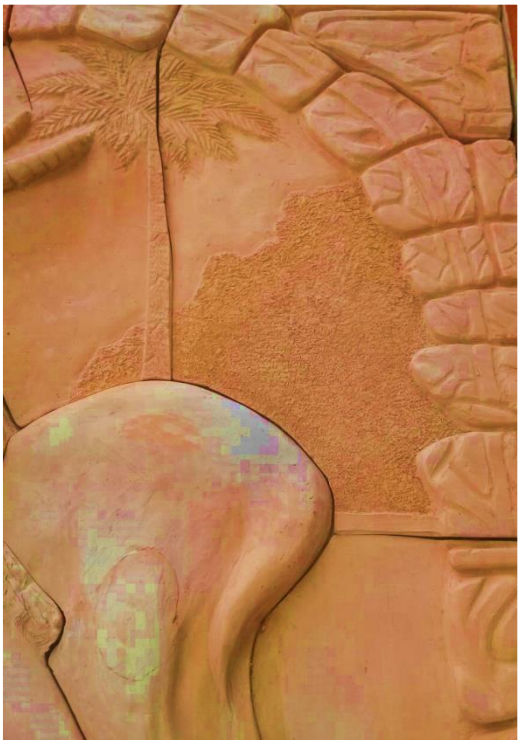

فلو كان تصميم الأثار والمباني التاريخية متقايسة في الحجم لأصبحت مملة و لكن تبدو المفاضلة بين الجزء السفلي للجداريات و الجزء العلوي إلى شكل ضمني حاضر فعليا و متجليا من خلال بعض العناصر كالزخارف في النخيل و الأعمدة و الطوب المتشكل منه المباني و تباين الأحجام في النوافذ كقلعة سبها و قصر نالوت.

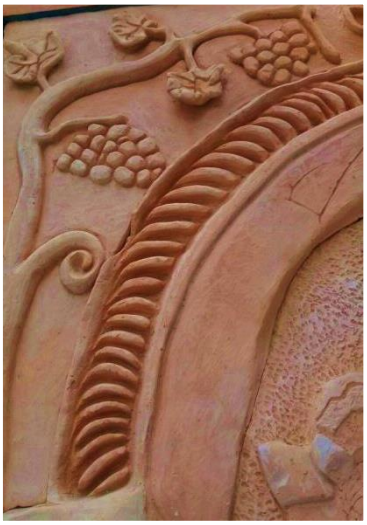
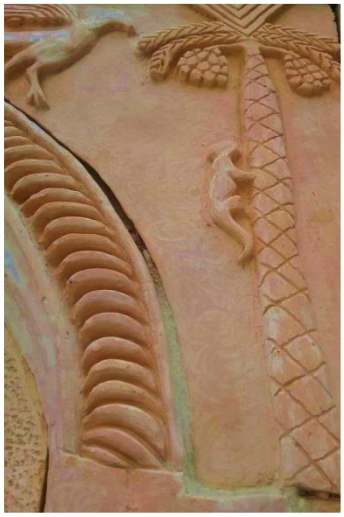
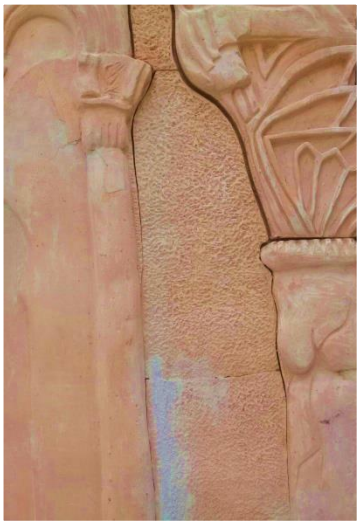

أما الحركة التي تترجمها التضاد بين المساحات، الظل، الضوء، الغائر، البارز، الناعم، الخشن في بناء يترادف و يتفرع كل هذه الثنائيات شكلت الجداريات و أعطته نفس التجادل بين المسطح و المستوى فتتحرك التعبيرة الخطية في عملية إحتواء للحامل و إحتواء للمعنى، فتكون العلاقة ما بين الأثار كالموجة فوق السطح و لكن الكل في نفس النسق من البداية إلى النهاية، و هنا تتألف الجداريات الثلاث من_:

جدارية 1

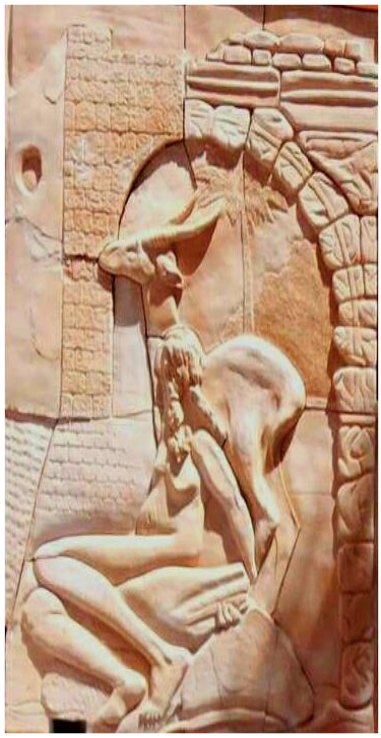

جدرية 2

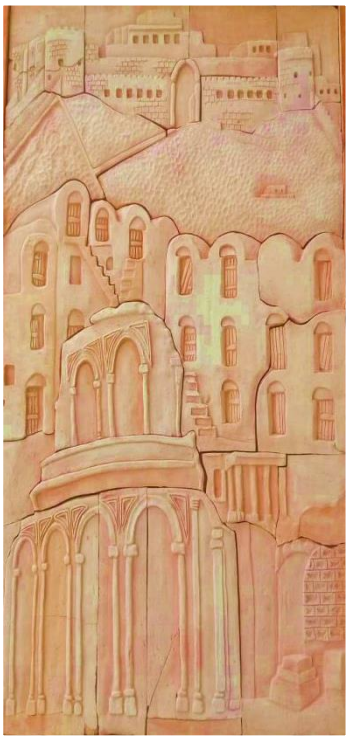

جدارية 3

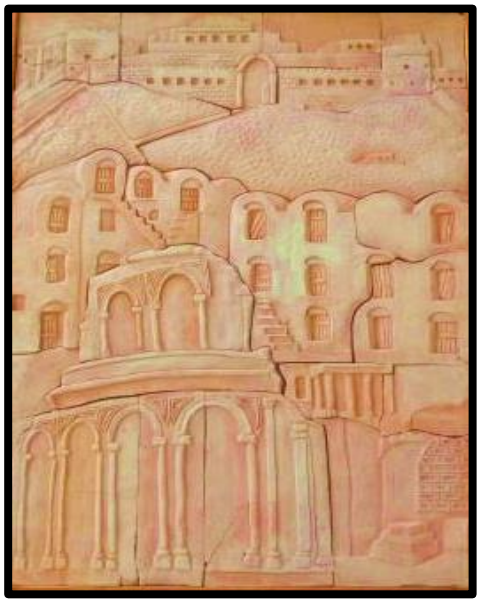

_تتكون الجدارية الأولى من قلعة سبها في الجزء العلوي و تباين المستويات بين الأسطح لإبرازها مع ليونة الخطوط و الملامس المختلفة لتوضيح جبال سبها و يليها قصر نالوت متميزا بالأقواس و كثرة الأبواب مع تداخل الجزء السفلي لأثار شحات لتعلن نهاية الجدارية الاولى مع صورة مبسطة للأقواس و الأعمدة الطولية بتباين مستويات في الأسطح.

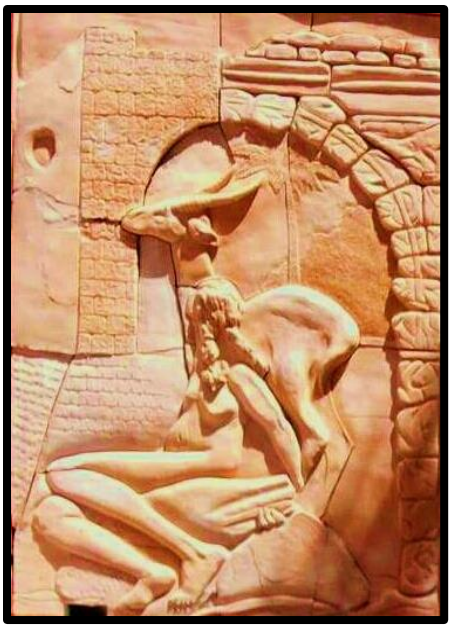

_الجدارية الثانية و كان محورها المميز هو الغزالة و الحسناء حيث تتوسط الجدارية لأنها مركز الجداريات الثلاث و ذلك لإحيائها بعد أن تم إختفاؤها و يلتف حولها قوس ماركوس لإحتضانها من جهة و مزجها بجماليات السرايا الحمراء من جهة أخرى و تفاوت الملمس ما بين الخشونة للمباني التاريخية و نعومة الجسد للحسناء والغزالة، مع إبراز التباين الملمسي الصريح في الطوب و حركة الأمواج للبحر لإعطاء ديناميكية الحركة للجدارية.

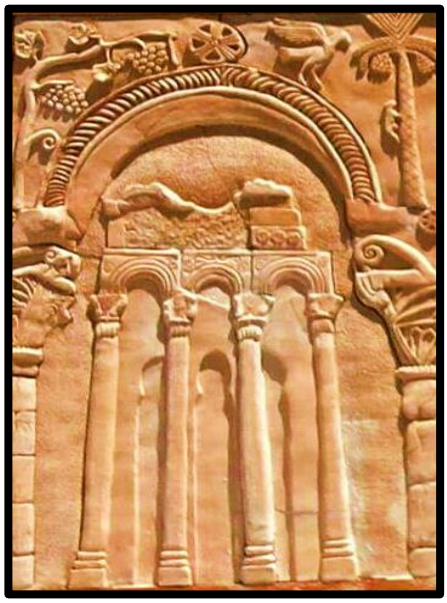

_الجدارية الثالثة تتمثل في أثار مدينة قرزة لبني وليد و هي إبراز لتتابع حركي يعلو القوس بطريقة النحت البارز و الغائر بصورة متتابعة منظمة و إظهار الأعمدة و ما تحتويه من تصاميم للنباتات و الحيوانات مع ملمس متباين ما بين الخشن و الناعم.

و تعتبر الآثار و المباني التاريخية غنية بعناصر تشكيلية، حيث أن الفراغات تحيط بالكتل الممتلئة بالزخارف و النقوش و ينشأ هذا حوار بين القديم و الحديث فيجعل مجموعة من الخطوط المنحنية، الملتوية كأنها شبكة مترابطة تطوق الجداريات لتصبح خطوط نابضة متحركة، تعلن ولادة التاريخ و الحضارة، و يتغير معنى الجمال النسبي إلى قوة التعبير الكامنة في جدلية بين الماضي و الحاضر

التوصيات:

_دور المؤسسات الحكومية لإفساح المجال أمام الفنانين و المثقفين لكي يأخذوا دورهم في توعية المجتمع بأهمية الأثار و المباني التاريخية.

_الاهتمام بدور الفن التشكيلي بمختلف الأنشطة الثقافية من محاضرات و ندوات و معارض للتعريف بالممتلكات الثقافية و كيفية المحافظة عليها من النزاعات المسلحة.

_القيام بورش عمل ضمن حملة فنية للحفاظ على المواقع الأثرية و الموروث الحضاري و رفع مستوى الفهم الواعي لأهميتها.

_طرق تأمين المتاحف من خلال إقفال المباني و إخفاء المقتنيات النفيسة، و توسيع نطاق دائرة الحماية المحيطة فيها حتى لا يصلها المقاتلون.

_إقامة متاحف و دور العرض بما يتناسب مع الكم الهائل من الأثار في ليبيا للمحافظة عليها.

_إقامة مخازن للأثار و مخازن للمخطوطات مع ضرورة توفر متطلبات التخزين الجيد من تهوية و مواد المعالجة الكيماوية.

الخاتمة:

يعد الفن التشكيلي خلاصة التجارب الإنسانية و وسيلة نقل لتراث و ثقافة الحضارات و على مر العصور تنوعت وظائفه من مجتمع لأخر و من حضارة لأخرى و في ظل تطور المجتمع الثقافي أصبح الفنان التشكيلي مساهما في التغير و التطوير الإجتماعي و الحضاري.

و بما أن الأزمات بمكن أن تولد أفضل ما لدى الفنان التشكيلي من إبداع، و ليس بالضرورة أن تولد الإحباط بل يستطيع الفنان أن يحول أزماتها إلى نجاحات، و تكون الأعمال الفنية على مستوى التحدي الذي يواجهه و كأنها محاولة لإكتشاف الذات، و إن ما يحدث من أزمة التدمير المتعمد للأثار والإعتداء على معالم المباني التاريخية هو ما جعل دور الفنان التشكيلي دور فعال ليعبر عن رسالة إنسانية لمعالجة هذه القضية بمستوى عال من المهنية الفنية الجمالية.

حيث وجدت اللوحة الفنية سفيرة عن الفنان و عن وطنه و ثقافته فهي محملة بهموم المجتمع و قضاياه للمشاركة في تغيير ما يمكن تغييره، و إن دور الفنان التشكيلي لحماية الأثار و المباني التاريخية هو مؤشر لحراك تشكيلي مستقبلي، ما يعكس المستوى التشكيلي الذي سيكون عليه الإبداع الليبي.

المراجع:

1 –راوية عبدالمنعم عباس، الفن و الحضارة، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية.1996

2–عبد السادة عبد الصاحب، الرسم التجريدي بين النظرة الإسلامية و لرؤية المعاصرة، كلية الفنون الجميلة جامعة بغداد.1997

3–علي مسعود البلوشي، موسوعة الأثار الإسلامية في ليبيا (الجزء الأول)، الدار العربية للكتاب .1980

4–علي مسعود البلوشي، موسوعة الأثار الإسلامية في ليبيا (الجزء الثاني)، منشورات مصلحة الأثار جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.1989

5–غوستاف لوبون، حضارة العرب، دار النهضة العربية، بيروت،.1964

6–فداء حسين أبو دبسة و أخرون، فلسفة علم الجمال عبر العصور، دار الإعصار العلمي للنشر و التوزيع، عمان،.2010